

الصراط المستقيم

[42] إن قلت: فلو جعل نفوسهم كذلك، كانوا كذلك، قلت: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وبهذا يسقط ما قيل إن اختصاصه بالرسالة، إما لأمر فيتسلسل، أولاً لأمر، فترجيح بغير مرجح. قلنا: ذلك من العناية والمختار يرجح بلا مرجح. (الفصل الثاني) محمد رسول الله صلى الله عليه وآله لثبوت دعواه ومعجزاته بالتواتر المفيد للعلم لبلوغ مخبريه إلى حد تشهد العقول بصدقه وتحيل العادة الاجتماع لافتراءه، وإلا علم بمكانه وزمانه خصوصاً مع توفر دواعي الكفار على نقله، وخصوصاً القرآن العزيز، فإنه تحداهم بمعارضته في قوله (فأتوا بسورة من مثله (1)) فلو قدروا عليه مع كونهم ذوي فصاحة وبلاغة، لم يعدلوا عنه إلى محاربته، وفيها بذل أنفسهم، والهبوط عن رياساتهم، إذ العاقل لا يعدل عن الأخف الأسهل وفيه الحجة، إلى الأشق الأثقل مع عدم الفائدة. وقد نقل الإمام الطبرسي في احتجاجه أن ابن أبي العوجا، وأبو شاعر الديصاني، وابن المقفع، وعبد الملك البصري اجتمعوا عند البيت، يهزؤون بالحاج ويطعنون بالقرآن، وعينوا لكل واحد منهم ربعاً من القرآن أن ينقضه، ويجتمعون في القابل وقد نقضوه كله، فلما اجتمعوا في القابل، قال ابن أبي العوجا: أما أنا فمئذ افترقنا، فمفتكر في قوله تعالى: (فلما استئسوا منه خلصوا نجياً (2)) فلم أقدر أضمر إليها من فصاحتها مثلها فشغلتنني عما سواه، وقال عبد الملك: وأما أنا فمفتكر في قوله تعالى: (إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) (3). وقال أبو شاعر: وأما أنا فمفتكر في قوله تعالى: (لو كان _____ (1) البقرة: 23. (2) يوسف: 80. (3) الحج: 73. _____